مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤: ١-٧)

يا إخوةُ أطلبُ إليكم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تسلكوا كما يحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتُم بها* بكُلِّ تواضعٍ ووداعةٍ وبطولِ أناةٍ محتمِلينَ بعضُكم بعضاً بالمحبَّة* ومجتهدينَ في حِفظِ وِحدةِ الروحِ برِباطِ السلام* فإنَّكم جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ كما دُعيتُم إلى رجاءِ دعوتِكُم الواحِد* ربٌّ واحدٌ وإيمانٌ واحدٌ ومعموديَّةٌ واحدةٌ* وإلهٌ آبٌ للجميعِ واحدٌ هو فوقَ الجميعِ وبالجميعِ وفي جميعِكم* ولكلِّ واحدٍ منَّا أُعطِيَت النعمةُ على مقدارِ موهِبَةِ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٨: ٣٥-٤٣)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ بالقرب من أريحا كان أعمى جالساً على الطريقِ يستعطي* فلمَّا سمع الجمعَ مجتازاً سأل ما هذا* فأُخبِرَ بأنَّ يسوعَ

القديس سابا المتقدس

«المتقدس» هو لقب القديس سابا الذي نعيِّد له في الخامس من شهر كانون الأول، ذلك لأن سابا قد تزيّن بالقداسة منذ نعومة أظافره وحافظ عليها حتى أصبح مثالاً يحتذى به.

وُلد قديسنا في قرية موتلاسكا التابعة لقيصرية الكبادوك عام ٤٣٩ ومكث مع والديه حتى بلغ الخامسة من عمره، حينها اضطر الوالدان أن ينتقلا إلى الإسكندرية فتركاه في عهدة خاله هرمياس.

بعد فترة فرَّ الصبي إلى بيت عمه بسبب سوء طباع زوجة خاله. في بيت عمه أيضاً لم يمكث كثيراً نتيجة الخلاف الذي نشأ بين عمه وخاله حول أملاك والديه، فهرب هذه المرة إلى دير فلافيانا القريب من القرية وكان عمره ثماني سنوات.

باشر سابا الحياة الملائكية فأمضى عشر سنوات في دير فلافيانا حفظ خلالها المزامير وتمرّس في ضبط النفس والأهواء. ثم انطلق إلى الأرض المقدسة حيث وجد القديس أفتيموس (٢٠ كانون الثاني) الذي كان يدرّب النساك على حياة التوحّد في المغاور وطلب منه أن يتنسك لديه، لكن هذا الأخير رفض بسبب صغر سن سابا وأحاله على القديس ثيوكتيستوس (٣ أيلول) الذي كان يعتني بالرهبان في حياة الشركة الديرية ذلك لأنه من المفضّل أن يتمرّس الراهب جيداً في حياة شركة مع رهبان آخرين قبل أن ينتقل إلى النسك أي حياة التوحد الكامل. أطاع سابا دون أي تردد فمكث في الدير إلى أن بلغ الثلاثين، عندها سمح له القديس أفتيميوس أن يتنسَّك فمكث في مغارة مدَّة خمس سنوات لم يكن يخرج منها إلا يومي السبت والأحد إلى الدير ليشترك في سر الشكر وليقدّم عمله اليدوي الذي كان عبارة عن خمسين سلة يصنعها في بحر الأسبوع من سعف النخيل. وكان القديس أفتيميوس يصطحب سابا معه مرة في السنة إلى عمق الصحراء وكان يدعوه «الولد الشيخ». بعد ذلك انصرف سابا إلى حياة الوحدة الكاملة فانتقل إلى البرية بعد رقاد أبيه الروحي القديس أفتيميوس. لكن هذا الأمر أزعج الشيطان فحاول إرعابه لكي يبعده عن وحدته مع الله، وهكذا ظهر له في إحدى الليالي على شكل حيات وعقارب. بادئ الأمر ارتبك سابا لكنه

العدد ٢٠٠٦/٤٩

الأحد ٣ كانون الأول

تذكار القديس صوفونيا النبي

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثالث

النـاصـريَّ عـابرٌ* فصرخَ قـائـلاً يـا يسـوعُ ابـنَ داودَ ارحمني* فزجرَهُ المتقدِّمون لِيسكتَ فازدادَ صراخاً يا ابنَ داودَ ارحمني* فوقف يسوعُ وأمر أنْ يُقدَّمَ إليهِ* فلمَّا قَرُبَ سألهُ ماذا تريدُ أنْ أصنعَ لك. فقال يا ربُّ أن أُبصِرَ* فقال لهُ يسوعُ أَبْصِرْ. إيمانُك قد خلَّصَكَ* وفـي الحـال أبصَرَ وتبعَهُ وهـو يـمـجّدُ الـلـه. وجميعُ الشعبِ إذ رأوا سبَّحوا اللهَ.

تأمل

«أطلبُ إليكم أنا الأسيرَ فـي الـربِّ أن تسلُكوا كمـا يحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتُم بهـا، بكُلِّ تواضُعٍ ووداعةٍ وبطـولِ أنـاةٍ» (أف ٤:١–٢).

من أراد أن يتشبه بالله تعالى فليكن وديعاً هادئاً بقدر ما يمكن للإنسان. وليتحمل بسعة صدر ما يـزعـجـه مـن الآخـريـن. فـالـرب يـقـول: أحـبـوا أعـداءكـم وصلُّـوا لأجـل الذين يسيئون إليكم، وعند ذلك تشبـهون أبـاكم الذي في السموات. فإنه يشرق شـمـسـه عـلـى الأشـرار والصـالـحين ويمطر على الأبـرار والظـالمين (متى ٥:٤٤–٤٥) هذا وفضائل أخرى يجب أن يتصف بها المسيحي وخاصة الوداعة.

سرعان ما تقوى بالرب فرسم إشارة الصليب وانتصب قـائلاً: حتى ولو أمكنك أن تخيفني فستنهزم لأن الرب الإله معي وقد أعطانا سلطاناً عليك لمـا قـال: «هـا أنـا أُعطيكم سلطـانـاً لتدوسوا الحيَّاتِ والعقاربَ وكلَّ قوَّةِ العدو» (لو ١٠: ١٩). هذه كانت إحدى المرات التي هاجمه فيها الشيطان، وفي النهاية لما أظهر جلادة وقوة في محاربته، جعل الرب كل وحوش البرية تخضع للقديس سابا فكان يعيش معها بسلام على مثال آدم في الفردوس.

لما ناهز الأربعين عاماً خرج سابا إلى صحارى أعمق طالباً التوحد أكثر مع الله ذلك لأن القديسين يفضِّلون الابتعاد عن العالم والأمور الدنيوية لكي يتمكّنوا من لقاء الرب بشكل أفضل ولمدة أطول فلا يعود أي أمر في الدنيا يبعدهم عنه. وفي إحدى الليالي بينما كان سابا يصلّي على تلَّة ولم يكن قد وجد مكاناً يمكث فيه، ظهر له ملاك الرب وأرشده إلى كهف لكي يسكن فيه وقال له إن الله سيهتم به. استتر سابا في ذلك الكهف وصنع حبلاً يصعد وينزل عليه لكي يؤمِّن الماء والغذاء. أما الله فلم يترك صفيّه ولم ينكس بوعده، فبعد فترة قصيرة زار الـقـديس سـابـا أربـعـة رجال، فلما صعدوا إليه بالحبل وعاينوا الكهف وقساوة الحياة فيه، تعهدوا أن يأتوا إليه مرة كل بضعة أيـام حـامـلـين معهم الماء والخبز والجبن.

بعد أن بلغ خمسة وأربعين عاماً، وبعد أن اختبر جيداً الحياة مع الله، أدرك أخيراً أنه حان الوقت لكي يقبل معه تـلامـيـذ يدرّبـهم على السيرة الملائكية. أصبح لديه سريعاً سبعون تلميذاً وزّعهم على المغاور، وهكذا نشأ في الجهة الشمالية من وادي قدرون اللافرا الكبير والذي بلغ عدد النسـاك فيـه في ايام سـابـا مـئـة وخمسين. أما اللافرا فهو عبارة عن مجمّع رهباني يضم عدَّة مناسك يقيم فيها الرهبان خمسة أيام في الأسبوع، ثم يجتمعون في نهاية الأسبوع للصلاة الجماعية وإقامة سر الشكر وللمائدة المشتركة.

سيم سابا كاهناً ثم أرشمندريتاً عام ٤٩١ وكان عمره ٥٣ سنة على يد بطريرك أورشليم سلّوستيوس على أثر تمردٍ حصل في دير اللافرا الكبير وذلك لكي يُجبر الرهبان أن يخضعوا للقديس سابا بعد أن حرَّك شيطان الكبرياء قلوبهم وأرادوا استبداله. أما سابا فكان لتواضعه يحسب نفسه غير أهل لنعمة الكهنـوت وكان يقول إن الكهنوت يلعب بروؤس المتوحدين وإن الرغبة فيه هي في أساس حب السلطة لديهم.

من العجائب الكثيرة التي حققها سابا والتي لسنا بوارد ذكرها كلها، أنـه مـع تـزايد عدد الـرهـبـان زادت الحاجة إلى الماء، فصلَّى سابا إلى الله قائلاً: «أيها الرب، إله القوات، إذا كانت مشيئتك أن يعمر هذا الموضع لمجد اسمك القدوس فمدّنا بقليل ماء يعيننا»، للحين سمع حماراً وحشياً يطرق بقدميه على الأرض في مكان قريب، فراقبه وإذا به يحني رأسه ويشرب من الأرض ثم رحل. عندها حضر سابا إلى الموضع وحفر أكثر ففاضت المياه. مرة أخرى كان سابا يتمشى خارج كهفه في الليل ويتلـو المزامير، فرأى عمود نار أمامه فأقام بإزائه طوال الليل مصلِّياً، ولما بزغ الفجر تقدّم إلى مكان العمود فرأى مغارة واسعة لها شكل كنيسة فأضحت هذه مع الوقت كنيسة اللافرا وعُرفت «بالكنيسة التي بناها الله».

فإن المسيح يشبّه بالله أولئك الذين يتلألأون بالوداعة فقط لأن سيدنا ومخلّصنا نفسه عندما تعرّض للإهانات واللطمات وسُمّر وصُلب واحتمل بوداعته حدة اليهود، ومع انه كان قادراً أن يقتص من الأشرار لم يفعل ذلك. ولكن أظهر قوّته فاهتزت الأرض وقام الموتى وأظلمت الشمس وجعل النهار ليلاً وأبدى وداعته ومحبته للبشر لأنه لم يقتص من أحد هؤلاء الأشرار وكلّهم كانوا عالمين برفع أيديهم على السيد وانه من السهل عليه أن يجازيهم وهو الذي هز الأرض وبأمره أظلمت الشمس بغتة لكنه بوداعته احتمل حدة اليهود والصلب والشتائم وكان يصلّي إلى أبيه السماوي كي لا يرسل سهامه العلوية على أولئك التاعسين.

فلذلك إن تعرّضتَ لإهانة ثقيلة لا تطاق وأخذ الغيظ والحمق يتلظيان في حشاك، فاذكر وداعة المسيح لتحصل مع عدوك على فائدة عظيمة وبوداعتك تجعله صالحاً لأنه حينما يراك تتحمل الإهانة بالوداعة وتملك غضبك يتحوّل حالاً إلى السكينة والصلاح

لم تكن حياة القداسة والعجائب ميزاته الوحيدة، بل لمع سابا أيضاً في الدفاع عن الإيمان المستقيم. فلما احتدم الصراع بين الفريق الأرثوذكسي الذي يشدِّد على أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية وبين الفريق القائل بطبيعة واحدة للمسيح والمدعوم من الإمبراطور أنستاسيوس الذي طرد البطريرك إيليا الأورشليمي من كرسيه واستبدله بيوحنا، حينها نزل الرهبان إلى المدينة المقدسة بطلب من سابا وثيودوسيوس ليحملوا رئيس الأساقفة الجديد على الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي وكان عدد الرهبان حوالي عشرة آلاف.

أما رقاده فكان في الخامس من شهر كانون الأول سنة ٥٣٢ عن عمر ٩٤ سنة وكان قد عرف يوم انتقاله قبل أيام فاستدعى آباء اللافرا وسمى القديس ماليتا البيروتي خلفاً له وأكد ضرورة حفظ تعاليمه، بعدها اشترك في القدسات وأسلم الروح قائلاً: «يا رب، في يديك أستودع روحي». بقي جسده سالماً من الإنحلال وأودع اللافرا إلى أن اختلسه الصليبيون ونقلوه إلى البندقية ثم أُعيد إلى ديره في تشرين الأول ١٩٦٥.

وقد ترك لنا التيبيكون الذي وضعه والذي ينظم حياة الكنيسة الليتورجية وترتيب الخِدَم، وهو التيبيكون الأساسي الذي نعتمد عليه في الكنيسة اليوم بعد أن أُدخلت بعض التعديلات عليه.

التراتيل العقائدية

تلعب العقائد دوراً أساسياً ومهماً في حياتنا المسيحية، وهي بمثابة النظام الذي على أساسه يبني الإنسان المسيحي بناءه الروحي، وهي التعبير النظري عن الإيمان القويم. وقد سعت الكنيسة منذ البداية إلى إعلان إيمانها عن طريق وضع تحديدات عقائدية في مواجهة الهراطقة ذوي الإيمان غير الصحيح (آريوس، نسطوريوس، شهود يهوه...)، معتبرة أن من ليس له إيمان صحيح لا يمكنه أن يخلص. وأبرز الإعلانات العقائدية هو ما نسميه «دستور الإيمان»: «أؤمن بإله واحد...»، ففي المعمودية التي هي سر الدخول إلى جسد المسيح على المعمَّد، أو عرّابيه إذا كان طفلاً، أن يعلن إيمانه قبل الشروع بالمعمودية عبر تلاوة دستور الإيمان. كما أنه في كل قداس إلهي، وقبل البدء بالكلام الجوهري، تعلن الجماعة إيمانها القويم عبر تلاوة دستور الإيمان.

هذه التحديدات العقائدية وضعها أناس في الكنيسة، أعلنت هي قداستهم في ما بعد. ومن أبرز هؤلاء القديس يوحنا الدمشقي «دفّاق الذهب»، الذي تُعيِّد له كنيستنا المقدسة في الرابع من كانون الأول. فقد كان القديس يوحنا أول من وضع العقائد في قالب منهجي محدّد في كتابه «المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي».

لم تكن العقائد مجرّد تحديدات نظرية يتعلّمها الإنسان المسيحي ثم يضعها جانباً ليعود إليها عندما تدعو الحاجة إنما كانت ولا تزال في صلب حياته الصلاتية، فقد كان ناظمو التسابيح يدخلون التحديدات العقائدية في التراتيل، وأبرز هذه التراتيل ما نرنّمه في كل قداس إلهي: «يا كلمة الله الإبن الوحيد الذي لم يزل غير مائت...». وقد ساعد ذلك كثيراً على حفظ العقائد، فمن منّا لا

ويميل إلى العمل بوداعتك تاركاً الغيظ جانباً.

يجب أن نسامح القريب على خطئه، ونصلّي لأجله وألا نكون كذلك العبد الذي لم يتمهل على رفيقه بدفع المئة دينار التي له عليه. وبهذا خسر المسامحة عن العشرة آلاف وزنة المدين بها لسيده. فمن يسامح خطأ القريب يخفف صعوبة الجواب الذي لا بد من إعطائه في الدهر الآتي. وبمقدار ما يتساهل يجد السهولة أيضاً. فالفرق ليس بالمقدار، لأن الإنسان يرحم على قدر استطاعة العبد. أما الجائزة فتكون على قدر استطاعة السيد. فلا تقل ان الذي أهانك مذنب في هذا وذاك، مهما كان الذنب كبيراً يجب أن يشمله تساهلك، لكي تستحق الرحمة في الحياة الآتية، فاطرح غضبك جانباً وامتلك قلبك بعقلك السليم وقدّم هذا ذبيحة لله لأن عمل الخير مع القريب ذبيحة عظيمة مطهّرة للخطايا لأن المسيح قال إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أبوكم السماوي (متى ٦: ١٤).

القديس يوحنا الذهبي الفم

يعرف هذه الترتيلة، «يا كلمة الله»، عن ظهر قلب؟ لقد وعت الكنيسة منذ البداية أن التراتيل والأغاني من الوسائل الفعالة في نقل التعليم، وحتى يومنا هذا تُستعمل الأغاني لنقل تعاليم وأفكار متنوعة منها ما هو مفيد ومنها ما هو مسيء جداً.

وبالعودة إلى القديس يوحنا الدمشقي، نرى أنه هو أيضاً استعمل هذه الطريقة. فقد كانت أيضاً ناظم تسابيح وقد ألّف الكثير من التسابيح والقوانين، ومنها قانون الفصح «اليوم يوم القيامة»، وهي مشبعة بالتحديدات العقائدية. هذا بالإضافة إلى كتاب «المعزي» الذي وضعه قديسنا أيضاً، والذي نستخدمه كل يوم في صلواتنا. ففي هذا الكتاب نقع ليس فقط على تراتيل تحوي تعاليم عقائدية بل على تراتيل تُسمَّى «عقائدية»، ونرتلها مساء كل سبت في ما يُعرف «بصلاة المساء الصغرى»، ولو لم تكن صلاة وتنتهي بتضرّع إلى والدة الإله لظننا أنها درس في العقائد، وخاصة قطعتي اللحن السابع واللحن الثامن منها: «كيف نقوم بتطويبكِ بحقّ يا والدة الإله الفائقة البركة، وكيف نوفي سرَّ حبلكِ غير المدرك حق تسبيحه، فإن خالق الدهور وبارئ طبيعتنا قد ترأف على صورته فخفض نفسه إلى تنازلٍ لا يُستقصى غوره، والكائن في أحضان الآب غير الهيوليّة سكن في مستودعك وصار منكِ لحماً أيتها النقيَّة التي لم تختبر الزواج، ولبث إلهاً بالطبيعة كما كان. ومن ثمَّ نسجد له إلهاً تاماً وإنساناً تاماً هو هو في كِلتا الصورتين، فإنه حاوٍ كلتا الطبيعتين على وجه الحقيقة. فنجهر كارزين بخواصِّه الطبيعية كلها أنها مثنَّاةٌ بحسب تثنية الجوهر، ونعبده معترفين بفِعْلَيْهِ ومشيئتَيه. فإنه لمساواته لله الآب في الجوهر يشاءُ ويفعل بسلطانه الذاتي كإلهٍ، ولمساواته لنا في الجوهر يشاءُ ويفعلُ بسلطانه الذاتي كإنسانٍ. على أنّ الطبيعة البشريَّة فيه تخضع للطبيعة الإلهيَّة. فتضرّعي إليه أيتها الموقّرة الكلّية الطوبى في خلاص نفوسنا» (عقائدية اللحن الثامن).

«ان السر الحادث بكِ يا أم الإله الطاهرة لرهيب حقاً ولا يُنطق به، فإنكِ ولدت الكلمة علَّة الكل ولادة تفوق على النطق والتعليل متجسداً بالروح القدس، وقد اتخذ الجسد منك ولبث بطبيعته غير مستحيل، لأنه بائتلاف الطبيعتين ورد منك إلهاً تاماً وإنساناً تاماً مستقلاً بذاته، موحَّداً بالأقنوم ومثنًى بالطبيعة، وقد أظهر كمال الطبيعتين بالخواص الفعّالة. فإنه تألم على الصليب بالجسد ولبث هو نفسه غير متألم باللاهوت، مات كإنسان وقام لثلاثة أيام حيًّا كإله،...» (عقائدية اللحن السابع).

عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٥ كانون الأول ٢٠٠٦ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٦ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb